فاذا ألفيت من آداب اللغة كل الآثار التي لا تتعدى مزيتُها أسلوبَها ، والتي هزلت معانيها أو كذبت أو لم تزد على التحل والمبالغة والتخريج والاغراب ، لم يبق لك إلا القليل من الأدب السامي الذي اجتمعت له مزايا المعنى القيم والموضوع المهم المفيد والأسلوب المحكم ، كأشعار الفحول في الحكمة والوصف الطبيعي والتعبير الصادق عن الوجدان والنسيب الحقيقي والحماسة وما إلى ذلك ، وتلك دون غيرها هي الجديرة أن تسمى آداباً

وهذه الآثار — وأحسن نماذجها حكمة المتنبي وأوصاف ابن الرومي وأبي تمام والبحتري ونظرات المعري ووجدانيات الشريف الرضي ، ورسائل الجاحظ — هي خلاصة الثقافة التي يخرج بها الدارس من الأدب العربي ، وهذا المحصول الثقافي هو بلا شك دون المحصول الذي يظفر به مطالع الأدب الانجليزي ، الذي أوسع أقطابُه النفس الانسانية والحياة البشرية والمحاسن الطبيعية درساً ووصفاً ومناجاة

لقد أشرت إلى الظروف التي أحاطت بالأدب العربي فأدخلت فيه كثيراً من زيف الصنعة وكاذب القول وغلَّبَتْ الأسلوب في كثير منه على المعنى ، ولعل طبيعة اللغة العربية قد ساعدت على هذا التغليب ، وأمدَّت لمن انصرفوا بكلياتهم إلى الأسلوب وجعت حولهم المستجيدين : لها اللغة العربية من بلاغة أصيلة ، وموسيقى فخمة ، ومما لألفاظها وتراكيبها في الآذان والنفوس من روعة وفتنة ، ومما لأوزان الشعر العربي وقوافيه من رصانة واتساق بحيث يستطيع المتمكن من كل هذا أن يستولي على الألباب دون أن يبتدع في المعنى ، كما يَصرِفك جمال اللحن الموسيقي عن تفاهة المعنى المتغنَّى به أحياناً

وقد زالت اليوم الظروف التي لابست الأدب العربي قديماً ، فهبطت بمعاني الكثير منه وأدخلت عليه الزيف والصنعة وزيغ النظرة إلى الغرض منه ، وما زالت للغة سمتها ومقدرتها وجمالها وموسيقاها ، فاذا اجتمع صدقُ النظرة إلى الأدب ومطاوعةُ أدواته وهي اللغة ، إذا قرنت المعاني المبتكرة السامية إلى اللغة الفنية المساعدة ، فما أجدر الأدب العربي أن يتبوأ منزلة عالية بين الآداب ، وما أقوى الأمل في أن يفوق مستقبلُه كلَّ ما عرف ماضيه

فتحي أبو السعود

من تراثنا العلمي

٢ - كتاب في البَيْزَرة

وصف وتحليل لنسخة فريدة من كتاب مفقود ، في علم ضائع ، لمؤلف مجهول

للأستاذ علي الطنطاوي

« ابواب الكتاب »

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له في كل لطيف من خلقه مُعْجِز يُتَفَكَّرُ فيه ، وخفيّ من صُنْعه يُتَنَبَّهُ به عليه ، ونِعَم تقتضي مواصلة حمده ، ومِنَنٌ تحثُّ على متابعة شكره . والذي مَيَّزَ كل نوع من حيوانِ خلقه على حِدَته ، وأبانه بشكله وصورته ، وجعل له من الآلة ما يلائم طبعه ومُرَكَّبه ، ويسَّره للأمر الذي خُلق له ، ويُؤدِّيه إلى مصلحته ، وقوام جسمه . وجعلنا من أشرف ذلك كلِّه نوعاً ، وأتمِّه معرفة ، وجمع فينا بالقُوَّة ما فرَّقه في تلك الأصناف بالآلة ، فليس منها شيء مخصوص بمحالٍ له فيها مصلحة إلا ونحن قادرون على مثلها ؛ كذوات الأوبار التي جعلت لها وقاءً وكسوة تلزمها ولا تعدمها ، فانا بفضل حيلة العقل نستعمل مثل ذلك إذا احتجنا إليه ، ونفارقه إذا استغنينا عنه ؛ وكذوات الحدّ والشوكة من صدف أو مخلب ، فان لنا مكان ذلك ما نستعمله من السيوف والرماح وسائر الأسلحة ؛ وكذوات الحافر والظلف فان لنا أمثال ذلك مما نتعمله ونتَّقي أذى الأرض به . وجعل لنا خدماً وأعواناً ، وزينة وجمالاً ، وأكلاً وأقواتاً ؛ فبعض نقتطيه ، وبعض نقتنيه ، وبعض نقتذيه . وأحلّ لنا صيد البرّ والبحر والهواء ؛ نقتنص الوحش من كناسها ، ونحطّها من معاقلها ، ونستنزل الطير من الهواء ، ونستخرج الحوت من الماء . ولم يكلنا في ذلك إلى مبلغ حيلتنا حتى عضَّدنا عليه ، وسهَّل السبيل إليه ، بأن خلق لنا من تلك الأنواع أشخاصاً أغراها بغيرها من سائر أجناسها ، ووصلها من آلة الخِلْقة وسلاح البُنية ،

وقبول التأديب والتضّرية ، والانطباع على الأكفّ ، والاستجابة . فدلّنا على موضع الصنعَ فيها ، وموقع الانتفاع بها ، كالفهد والكلب وسائر الضواري ، والبازي والشاهين وسائر الجوارح كلما يجوبه من ذلك لنا كاسب وعلينا كادح ، وبمصلحتنا عائد ؛ نستوزعه جلّ جلاله الشكر على ما منحناه من هذه الموهبة ، وفضلنا به من هذه التكرمة ، إلى ما تقصر عن تعداده ، وتعجز عن الاحاطة به من عوائد كرمه ، وفوائد قسمه ؛ ونرغب إليه جلّ جلاله في العون على طاعته ، ومقابلة إحسانه باستحقاقه . وصلى الله على محمد نبيّه الصادق الأمين ، البشير النذير ، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلم تسليما ، وعلى الأئمة من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب حتى تنتهي الى العزيز بالله أمير المؤمنين فتشمله ونسله الى يوم الدين

إن للصيد فوائد جمّة ، وملاذ ممتعة ، ومحاسن بينة ، وخصائص في ظلف النفس[1] ونزاهتها وجلالة المكاسب وطيبها كثيرة ؛ فيه يستفاد النشاط والأريحيّة ، والمنافع الظاهرة والباطنة والمران والرياضة ، والخفوف والحركة ، وانبعاث الشهوة واتساع الخطوة ، وخفّة الركاب ، وأمن من الأوصاب ؛ مع ما فيه من الآداب البارعة ، والأمثال السائرة ، ومسائل الفقه الدقيقة ، والأخبار المأثورة ما نحن مجتهدون في شرحه وتلخيصه ، وتفصيله وتبويبه في هذا الكتاب المترجم بكتاب (البَيزرة) على مبلغ حفظنا ، ومنتهى وسعنا ، وبحسب ما يحضرنا ، وينتظم لنا اتباعاً فيما لا يجوز الابتداع فيه ، وابتداعاً فيما أغفله من تقدمنا ممن يدعيه ، ونحن مقدمون ذكر الأبواب التي تشتمل على ذلك ليأتي كل باب منها في معناه ، وبالله الحول والقوة ، ومنه عز وجل التوفيق والمعونة

(باب) من كانت له رغبة في الصيد وعنده شيء من آلته من الأنبياء صلوات الله عليهم ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الأشراف

(باب) تمرين الخيل بالصيد والضراءة ، وجرأة الفارس على ركوبها باقتحام العقاب ، وتسنّم الهضاب ، والحدور والانصباب

(باب) ما قيل في طرد كل صنف من وحش وطير

(باب) فضائل الصيد ، وأنه لا يكاد يحب الصيد ويؤثره إلا رجلان متباينان في الحال ، متقاربان في علوّ الهمة : اما ملك ذو ثروة ، أو زاهد ذو قناعة ، وكلاهما يرمي اليه من طريق الهمة إما لما تداوله الملوك من الطلب وحب الغلبة الخ . . . والفقير الزاهد لظلف نفسه عن دنيء المكاسب ، ورغبتها الخ ، فمن هذه الطبقة من يقنات من صيده ما يكفيه ، ويتصدق بما يفضل عنه توقياً من المعاملة والمبايعة ، ومنهم من يبيع ما فضل عن قوته ، ويعود بثمنه في سائر مصلحته ، وكانت هذه حال الخليل بن أحمد الفرهودي مع فضله وأدبه وكمال علمه وآلاته الخ . . وكان جلّة الناس في عصره يجتذبونه الخ . . . فأحد من كاتبه سليمان بن علي الهاشمي ، فكتب الخليل بن أحمد إليه :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة ... وفي غنًى غير أني لست ذا مال
سخّى بنفسي أني لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال[1]

«قال» وقلما رأيت صائداً إلا تبينت فيه من سنا القناعة الخ . .

وقال أرسطاطاليس : أول الصناعات الضرورية الصيد ، ثم البناء ثم الفلاحة . ولو أن رجلاً سقط إلى بلدة ليس بها أنيس ولا زرع لم تكن له همة إلا حفظ جسمه ونفسه بالغذاء الخ . . .

ويغدو للصيد اثنان متفاوتان : صعلوك متسحق الأطمار . وملك جبار ، فينكفئ الصعلوك غانماً ، وينكفئ الملك غارماً ، وإنما يشتركان في لذة الظفر الخ . . . وقال أبو العباس السفاح لأبي دلامة سل ! . . فقال : كلباً ، قال : ويلك وما تصنع بكلب ؟ قال : قلت سل ، والكلب حاجتي ، قال : هو لك ، قال : ودابة تكون للصيد ، قال : ودابة ! قال : وغلام يركبها ويتصيد عليها ، قال : وغلام ! قال : وجارية تصلح لنا صيدنا وتعالج طعامنا ، قال : وجارية ! قال أبو دلامة : كلب ودابة وغلام وجارية ! هؤلاء عيال ! لا بد من دار ! قال : ودار ! قال : ولا بد من غلة وضيعة لهؤلاء ، قال : قد أقطعناك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال : ما الغامرة ؟ قال : التي لا نبات فيها ، قال : أنا أقطعك

(١) ظلف نفسه عن الشيء منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه

(١) والذي قاله ابن خلكان : أنه كان للخليل رواتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وكان والي فارس والأهواز ؛ فكتب اليه يستدعي حضوره ، فكتب الخليل جوابه (هذين البيتين وبعدهما) :

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

(في قصة طويلة)

خمسمائة جريب فى فيافى بنى أسد ، قال : قد جعلنا لك المائتين عامرة بقى لك شىء ؟ قال : أقبل يدك ، قال : أما هـذه فدعها ! قال : ما منعت عيالى شيئاً أهون عليهم فقدا من هذا (١)

وقيل لبعض من كان مدمناً على الصيد من حكماء الملوك الخ . . . وقيل للزاهد المشغوف بالصيد الخ . . . وهـذا كتاب كليلة ودمنة الخ . . . وكانت ملوك الأعاجم تجمع أصنافها (أى الحيوانات) ، وتدخل أصاغر أولادها عليها وتعرفها الخ . . .

وأشرف الغذاء الذى يحفظ به الأعضاء ، وليس شىء أشبه بها وأسرع استحالة إليها من اللحم ، وأفضل اللحمان ما استدعته الشهوة ، وتقبلته الطبيعة بقوة عليه ، ولا لحم أسرع انهضاماً وأخص بالشهوة موقعاً من لحم الصيد المطرود المكدود ، لأن ذلك ينضجه الخ . . .

وإن كان الحيوان غليظاً ، عكست هـذه الأسباب طبعه ، ونفت ضرره ، وقمعت كيموسه ؛ وربما أكل اللطيف الخفيف على تعنف وتكره ، فكان إلى أن يأخذ من الأعضاء ، أقرب من أن تأخذ منه الأعضاء

وتأول الرواة معنى امرئ القيس فى قوله :

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَلٍ مخرجٍ كَفَّيْه من سُتَرِهْ
فأتَتْه الوحشُ واردَةً فتمتّى النزْعَ من يَسرِهْ
فرَماها فى فرائصِها من إزاء الحوض أو عُقَرِهْ
مطعمٌ للصيد ليسَ لهُ غيرها كسبٌ على كبرِهْ

على المدح بادمان الصيد ، وعن الطائر فيه ؛ واستثناؤه بقوله على كبره زائد عندهم فى المدح لوصفه أنه يتكلف من ذلك مع فدح السن وأخذها منه شيئاً لا يعجزه مع هذه الحال ، ولا يلحقه فيها ما يعرض للسن من الفتور والكلال ؛ وبنو ثُعل بنو عمه لأنهم نفذ من طيئ ، وكندة نفذ من مرّة ، ومرّة أخو طيئ فلم يرد غير المدح ؛ وهـذا الراى عمرو الشملى ، وكان من أدرى الناس الخ . . .

وفى أبيات امرئ القيس هـذه ، أدب من أدب الصيد ، وطائف حيله ، وهو قوله : فتمتى النزع من يسره ، وتمتى وتعطى واحد ، أبدلت التاء من الطاء ، وفى تمتى معنيان : أحدهما الاعتماد والتوسط من قولهم حصلته فى متى كمّى ، فختمتاه بمعنى تعمد متاه (كذا) والآخر بمعنى إبدال التاء من الطاء يريد التمطى (١) وهو أن يريد الصيد بالرمى يتمطى بيساره نحو الأرض مرات حتى يؤنس الطريدة فتألف ذلك منه ولا تذعر له ، ثم حينئذ يستغرق نزعه ويمضى سهمه

ولا يزال امرؤ القيس فى كثير من شعره يفخر بالصيد ، وأكل لحمه ، كقوله الخ ...

ومن فضائل الصيد ما فيه من التبريز على ركوب الخيل صعوداً ، وحدوراً ، وكراً ، وانكفاء ، وتعطفاً ، واثناء الخ ..

وقال بعض الحكماء : قلما يعمش ناظر زهرة ، أو يزمن مريغ طريدة ، يعنى بذلك الخ ..

وليس يكبر الملك الرئيس العظيم الوقور ، إذا أثيرت الطريدة أن يستخف نفسه فى اراغتها ، ويستحفز فرسه فى أثرها الخ . . وحكى عن عظماء الأكاسرة الخ .. وعن الخلفاء الراشدين الخ ..

ومنها ما يسنح فيه من النشاط والأريحية الخ ... وربما قويت النفس حينئذ ، وانبسطت الحرارة الغريزية فعملت فى كوامن العلل . أخبرنى غير واحد ممن شاهد مثل ذلك : أنه رأى من غدا إلى الصيد وهو يجد صداعاً مزمناً ، فظفر فعرض له رعاف حلّل ما كان فى رأسه ، وآخر كانت به سلعة يجبن عن بطها قويت عليها الطبيعة فانبعثت ، وآخر كان فى بدنه جرح الخ ... وربما عكس ما يعرض له من ذلك ذميم حالاته ، فآلت إلى ضدها من الخيرية حتى يتشجع إن كان جباناً ، ويجود وإن كان بخيلاً ، ويتطلق وجهه وإن كان عبوساً

أخبرنى بعض الأدباء ، عن رجل من الشعراء ، قصد بعض الكبراء فتعذّر عليه ما أمّله عنده ، وحال بينه وبينه الحجاب وكان آلفاً للصيد ، مغرى به ، فعمد الشاعر إلى رقاع لطاف ، فكتب فيها ما قاله من الشعر فى مديحه ، وصاد عدة من الظباء والأرانب والثعالب ، وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض ، وراعى خروجه إلى الصيد ، فلما خرج كمن له فى مظانه

(١) انظر إلى حذقه بالمسألة ، ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة ؛ حتى لو سأله بغيبة لما وصل اليه . « انظر أخبار أبى دلامة فى الجزء التاسع من الأغانى »

(١) قال فى اللسان والتاج . والتمتى فى نزع القوس من الصلب

ثم أطلقها فلما ظفر بها واستبد
زاد فى طربه واستظرف الرج
وأمر بطلبه فأحضر ونال منه

ومن شأن النفس أن تنـ
الخ ... وهذا شبيه بما تأوله
بتقديم العدات أمام الهبات ذ

ولو أن محاول حرب ،
مكالحته إياه حتف أنفه ، أو ا
أو جاءه صارعاً طالباً لأمانه ؛
لو نازله فقهره ، أو بارزه ف
بالشطرنج الخ . . .

ولو أن ملكا يهدى له
الوحش والطير لم يبلغ فر
بقبرة ضئيلة يدأب فى صيده

وقال بعض المحدثين :
لولا طراد الصيد لم يك ل
هذا الشراب أخو الحياة وم

وأخذ هذا المعنى ثم
لفظاً حسناً ، فى كلمة له يعت

أخر ما عنده لتط

وقال بعض الكتاب
(بعد أن مدحه بأبيات) :
لا أستلذ العيش لم أدأب
وأرى حراماً أن يواتيني الغر
فاحبس توالك عن أخيك موت

ومن فضل العلم بالصيد
السندى عن عبد الملك بن م
كان نظر وهو مع صالح الهاش
الدعوة ، وهو على سطح قرية
خراسان وبينهم وبين عدوهم مسيرة أيام إلى أقاطيع ظباء مقبلة
من البرحتى كادت تخالط المعسكر ، فقال لقحطبة : ناد فى الناس
بالاسراج والالجام وأخذ الأهبة ، فتشوف قحطبة فلم ير شيئاً
يروعه ، فقال لخالد : ما هذا الرأى ؟ فقال : أما ترى الوحش قد

ورأى تلك الرقاع ووقف عليها
ستلطفه وتنبه على رعى ذمامه ،
آكثيراً

عزّها ، وبعد من ادراكها
ن خالد البرمكى فى توصية ولده
لهم الخ ...

رع جيش ، ملك عدوه قبل
شه من سوء تدبيره فانصرف ،
ن مقدار السرور بذلك كمقداره
، وهذا بيّن فى الملاعب

يوم عدد كثير من أصناف
ث جزءاً واحداً من اغتباطه
عكرشة هزيلة يظفر بها الخ ..

فتطارى لى بالوصال قليلاً
من لذة حتى يصيب غليلاً
وزير الحافظ الغسانى فكساه
من تأخير هدية :
ولذة الصيد حين تطرده
ى رئيساً من برّ بعث به اليه ،

طلباً وسعياً فى الهواجر والغلس
حتى يحاول بالعناء ويلتمس
فالليث ليس يسيغ إلا ماافترس
كاه لى أبى عن اسحاق بن ابراهيم
الهاشمى عن خالد بن برمك ؛ أنه
صاحب المصلى وغيره من رجال
نازل مع قحطبة حين فصلوا من
أقبلت ، إن وراءها لجماً يكشفها ؛ فما تمالك الناس أن يتأهبوا
حتى رأوا الطليعة ، ولولا علم خالد بالصيد لكان ذلك العسكر
قد اصطلم

وعلل بعض أبناء الملوك فى الاستهتار بالصيد والشغف به الخ
ولما شهد أبو علقمة المرى عند سوار أو غيره من القضاة ؛
وقف فى قبول شهادته ، فقال له أبو علقمة : الخ

ومن فضائل الصيد أنه كان الملك من ملوك فارس الخ . . .

وكانت لبهرام شوبين حظية الخ . . .

وذكر الأصمعى عن الحارث بن مصرّف الخ . . .

ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فناداه فاستجاب له فقال له : ما اللذة ! فقال له : كبائر اللذات أربع ، فعن أيهن تسأل ؟ فقال : صفهن لى ، فقال : هل تصيدت قط ؟ قال : لا (وسأله عن خصال) قال : لا ، قال : فما بقى لك من اللذات أ..

يتبع

على الطنطاوى

معجم الشعراء

زهاء ألف وخمسمائة شاعر من جاهليين واسلاميين وبعض المحدثين ، مع ذكر أنسابهم وبعض أخبارهم ومختار أشعارهم .

ومؤلفه المرزبانى هو صاحب الآثار المدهشة فى تاريخ الأدب العربى ، حتى قيل فى عصره : انه أحسن تصنيفاً من الجاحظ . ومنه :

المؤتلف والمختلف

تكلم فيه مؤلفه الآمدى على نحو سبعمائة شاعر من تحقيق أسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم وألقابهم مما يقع فيه اللبس والغلط ، مع ذكر مختارات من أشعارهم .

٥٥٦ صفحة بالشكل الضرورى والفهارس بثلاثين قرشاً مصرياً من الورق الأبيض ، وعشرين قرشاً من الورق المعتاد

يطلبان من مكتبة الفدنى بباب الخلق بحارة الجداوى بدرب سعادة بالقاهرة